كتاب اسرار الباطنية لمحمد بن مالك

(٢)

وقد رأيت أيها الناس وفقنا الله واياكم للصواب وجنبنا واياكم طرق الكفر والارتياب ان أذكر أحبال هذه الدعوة الملعونة لئلا يميل الى مذهبهم مائل ولا يصبو الى مقالتهم لبيب عاقل ويكون فى هذا القدر من الكلام فى هذا الكتاب انذار لمن نظره ، واعذار لمن وقف عليه واعتبره ٠

باب : اعلموا يا اخوانى فى الاسلام أن لكل شىء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء والدواء أصولا وللاصول فروعا وأصل هذه الدعوة الملعونة التى استهوى بها الشيطان أهل الكفر والشقوة ظهور « عبد الله (١) بن ميمون القداح » فى الكوفة وما كان له من الاخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة ودخوله فى طرق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته اياها على الطغام ٠ ومكيدته لاهل الاسلام ٠

وكان ظهوره فى سنة ست وسبعين ومائتين من التاريخ للهجرة النبوية فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم الغوائل ولبس الحق بالباطل « ومكر أولئك هو يبور » وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا ولكل حديث عن

---

(١) المصنف يذكر ميمونا مرة وابنه اخرى كما هنا وقد جارينا الاصل فى ذلك ، وفيما يسوقه من انبائهما هنا بعض مخالفة لما ذكره عبد القاهر فى (الفرق) وابن النديم فى (الفهرست) والمقريزى فى (الخطط) وغيرهم فكل منهم دون ما بلغه من الانباء وفى تمحيص ذلك كله طول ٠

Made With Pdf Office

رسول الله صلى الله عله وسلم تأويلاوزخرف الاقوال وضرب الامثال وجعل لآى القرآن شكلا يوازيه ومثلا يضاهيه وكان الملعون عارفا بالنجوم معطـــلا لجميع العلوم « يريدون ليطفئوا نورالله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » فجعل أصل دعوته التى دعاها وأساس بنيته التى بناها الدعاء الى الله والى رسوله ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله والاختصاص لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بالتقديم والامامة والطعن على جميـــع الصحابة بالسب والاذى وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «لعن الله من سب أصحابى » (١) . وقال عليه السلام « اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٢) **وقال صلى الله عليه وسلم : « من سب اصحابى (٣) فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على وجهه فى النار » فأفسد بتمويهه قلوب الجهال وزين لهم الكفر والضلال وله شرح يطول فيه الخطاب غير انى اختصر وفيما اشرحه كفاية واعتبار لاولى الالباب والابصار.**

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام وهو من اليهـــود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية (٤) وكان من أحبار اليهـود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميـــع المذاهب وكان صائغا يخدم (شيعة) اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمـد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله فى اليهود من عداوة الاسلام وأهله والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يروجها يدخل به على الناس حتى يردهم عن الاسلام الطف من دعوته الى أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكان قد خرج فى أيام قرمط (٥) البقار وكان اسمه اولقبه لانه كان يقرمط فى سيره اذا مشى (٦) ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون الى قرمط لانهمـــا

---

(١) ولفظ الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا (من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وفى سنن الترمذى (اذا رأيتم الذين يسبون اصحابى فقولوا لعنة الله على شركم وفى الباب احاديث يعضد بعضها بعضا.. (٢) اخرجه رزين وله طرق ضعيفة . (٣) ولفظ ام سلمة عند احمد (من سب عليا فقد سبنى) (٤) سلمية : بليدة بالشام من اعمال حمص . (٥) قرمط . وهو حمدان بن الاشعث وكان خروجه سنة ٢٦٤ كما يذكره ابن المهذب . وكان ظهور الجنابى بالبحرين سنة ٢٨٦ . (٦) يعنى يقارب بين خطواته . ومنهم من يقول انه كان أحمر البشـــرة فلقب بقرمطو (كرمت ، الآجر فى اللغة الرومية فعرب

Made With Pdf Office

اجتمعا وعملا ناموسا يدعوان اليـــه وكانا يعرفان النجوم وأحكام الزمـان فدلهما الوقت على تأسيس ما عمـلاه فخرج ميمون الى الكوفة وأقام بهـــا مدة وله أخبار يطول شرحها مما كان منه ومن على بن فضل والمنصور صاحب مسور وأبى سعيد الجنابى وأنا اشرح ذلك عند انتهائى اليه ان شاء الله تعالى وأما قرمط البقار فانه خرج الى بغداد فقتل هنالك لا رحمه الله ٠

باب ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخـــل ضلالته ، ومذهبه :

وكان أول أولاد عبيد (١) وهو المهدى ثم (محمد) وهو القائم ثم (الطاهر) اسماعيل المنصور ثم (المعز) ثـــم (العزيز) ثم (الحاكم) ثم (الطاهر) ثم (معد المستنصر (٢) هؤلاء الذين ينسبون اليه الى عصرنا هذا فانتسبوا الى ولد الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وانتحالهم انتحـــال كاذب وليس لهم فى ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك فانهم لم يجدوا لهم فى الشرف أصلا مذكورا ولا عرفوا لهم فى كتاب الشجرة نسبا مشهورا بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب الا من دخـــل معهم فى كفرهم وضلالتهم فانه يشهد لهـــم بالزور ويساعدهم فى جميع الامـــور وقد زعموا انهم من ولد محمد اسماعيل بن جعفر الصادق وحاش لله ما كان لمحمد اسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد بل هم « كشجـــرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار » ٠

وقيل قرمد ثم قرمط ٠ (١) اليه تنسب دولتهم فيقال (الدولة العبيدية بمصر) ويتورع أهل التحرى من تلقيب دولتهم (بالفاطميين) حيث لم يثبت نسبهم المزعوم كما حققه أهل التحرى من ثقات المؤرخين ٠ (٢) والمستنصر هذا توفى سنة ٤٨٧ هـ فيكون المؤلف من رجال أواسط القرن الخامس ٠

Made With Pdf Office

الدليل على ذلك وعلى بطلان مـــاذكروه انهم يقولون معد المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى وهو عبيد (١) بن ميمون ثم يقولون ابن الائمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق فاذا سألهم سائـل عن هؤلاء المستورين حادوا عـــن الجواب (٢) وكان للسائل لهـــم الارتياب . وقالوا هم أئمة قهـــروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولاذكرهم لاحد وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا اليه .

والدليل على أنهم من أولاد اليهود، استعمالهـــم اليهـــود فى الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهـــم تدبير السياسة ما زالوا يحكمون اليهود فى دماء المسلمين وأموالهم وذلـــك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد.

---

(١) لم أر من جعل عبيدا ابن ميمون مباشرة والمشهور انه سعيد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون . خرج سعيد هذا متنكرا الى مصر ثم الى المغرب فادعى هناك انه علوى فاطمى بعد أن ادعى قبل ذلك انه عقيلى ـ وتسمى هناك أيضا عبيد الله وتلقب بالمهدى حتى تم له ما هو مشـــروح فى التواريخ (٢) ومن المعروف عند المؤرخين أن المعز العبيدى لما قرب الى مصر بعـــد فتحها بمعرفة قائده وخرج الناس تلقائه اجتمع به جماعة من الاشراف فقال له احدهم : (الى من ينتسب مولانا ؟ فقال له المعز سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقى من رؤسائكم أحد ؟ فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك نصف سيفه وقال هذا نسبى ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا واطعنا) وفى المحضر الذى أصدره أهل العلم ببغداد سنة ٤٠٢ هـ ... انهم ادعياء لا نسب لهم فى ولد على رضى الله عنه .. » ومن جملة من وقع عليه الشريفان الرضى والمرتضى وابو محمد الاكفانى القاضى وابو حامد الاسفراينى ، وابو حسين القدورى وغيرهم من كبار الائمة وهذا حكم شرعى يجب أن يخضع له ولو أعطى احد هؤلاء الدنيا بحذافيرها لما حكم بما يخالف الحق والصدق عندهم كما لا يخفى على من درس سيرهم ، والشعر المنسوب الى الشريف الرضى غير متصور ثبوته عنه ، ولم يكن القادر بالله بقادر على اكراههم على خلاف ما يرونه ، وكلمة ابن خلدون عن هوى خاص وكذا توهم المقريزى كما هو مبسوط فى « الاعلان بالتوبيخ » للسخاوى .

Made With Pdf Office

باب خروج ميمون القداح من سلمية الى الكوفة :

وقد ولد له عبيد وهو الذي يسمونه عبيد الله المهدى فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ لهما ما كانا يطلبان والى أن اجابهما الى ذلك تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون منهم على بن فضل الجدنى اليمانى . وأبو القاسم ابن زاذان الكوفى المسمى المنصور عند كونه في اليمن فى مسور وأبو سعيد الجنابى صاحب الاحساء والبحرين وابو عبد الله الشيعى صاحب كتامة فى المغرب والحسن(١) بن مهران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان ومحمد بن زكريا الخارج فى الكوفة ولا بد ان أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصرا ان شاء الله تعالى :

باب ذكر أبى سعيد الجنابى لعنه الله :

كان فيلسوفا ملعونا ملك البحرين واليمامة والاحساء وادعى فيها انه المهدى القائم بدين الله فاستفتح(٢) ... ودخل مكة وقتل الناس فى المسجد الحرام ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به الى الاحساء وقال فى ذلك شعرا :

ولو كان هذا البيت لله ربنـــا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهليـــــة ... مجللة لم نبق شرقا ولا غربـــا
وانا تركنا بين زمزم والصفـــا ... جنائز لا تبغى ســوى ربها ربا

وله لعنه الله أشعار فى ذلـــك تركتها اختصارا وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا عليه لعنة الله .

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع :

خرج فيما وراء النهر وله أخبـار شنيعة وكان حكيما فيلسوفا ملعونا ذكرو انه عمل قمرا بالطلسم يطلع فى السنة أربعين ليلة ولقد كنت أكذب

---

(١) وله عدة اسماء عطاء وحكيم . (٢) هنا بالاصل نقص ولعل الناقص (ثم قتله خادم له صقلبى راوده فى الحمام سنة ٣٠١ هطوتولى بعده ابنه الاكبر سعيد فغلبه اخـوه الاصغر ابو طاهر سليمان بن الحسن بن بهان الجنابى حتى استفحل امره .

Made With Pdf Office

ذلك حتى صححه لى جماعة من أهـل خراسان وذكروا انه بنى حصنا وعمل فيه لولبا فكان المسلمون اذا أتـوالقتاله قذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون فمال اليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم بغلام حكيم فأمـر المسلمين أن يحفروا حـول الحصن فوقعوا على اللولب فأخرجوها ودخلوا عليه فقتلوه وقيل انه احرق نفسه قبل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه ٠

باب ذكر محمد بن زكريا لعنه الله :

احسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطى وكان قد خرج بالكوفة فخرج اليه المكتفى أمير المؤمنين من بنى العباس فقتله لعنه الله ولا رحمه ٠

صدقة مقبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على سارق فقال : اللهم لك الحمد ٠ على سارق ؟ لأتصدقن بصـدقة ٠ فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية ٠ فقال : اللهم لك الحمد ٠ على زانية ؟ لأتصدقن بصدقة ٠ فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غنى ٠ فقال : اللهم لك الحمد ٠ على سـارق وزانية وغنى ؟؟ فأتى فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته وأما الزانية فلعلهـا أن تستعف عن زناها وأما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله ٠

متفق عليه ٠٠

Made With Pdf Office

فهذا نص لا حدّ فيه وأنه يصلي مثنى مثنى إلى أن يخشى الصبح .

وساقه البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل .

وحديث مسروق عن عائشة أنه سألها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل فقالت : سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتين الفجر .

ثم بوّب البخاري أيضاً باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل في رمضان وغيره .

وساق بسنده إلى عائشة رضي الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلي ثلاثاً : قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .

ولئن كانت عائشة وصفت صلاته صلى الله عليه وسلم بالطول والحسن وحددتها بإحدى عشرة ركعة فقد جاء حديث حذيفة عند مسلم أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة ، وكان إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح ، أو سؤال سأل ، أو تعوذ تعوذ . ثم ركع نحواً مما قام . ثم قام نحواً مما ركع . ثم سجد نحواً مما قام . قال ابن حجر بعد أن أورد هذا الحديث : وهذا إنما يتأتى في نحو ساعتين ، فلعله أحيا تلك الليلة كلها .

فهذا مما يدل على طول القيام إلى حد أن تستغرق الركعة الواحدة ساعتين .

وقد جاء عند البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء . قلنا : وما هممت ؟ قال : هممت أن أقعد وأذر النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل لنا من هذا كله أن صلاة التراويح كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأنها مشروعة عنه صلى الله عليه وسلم ابتداء وأنها أخذت تتطور على عدة مراحل فكانت كالآتي :

تطورها في العصر النبـــوي :

١ ــ أولاً : بدأت بالترغيب فيها دون أن يعزم عليهم .

٢ ــ ثانياً : انتقلت إلى السنة والندب مقرونة بفرضية الصيام .

٣ ــ ثالثاً : أديت بالفعل أداها أوزاع من الناس .

Made With Pdf Office

٤ ــ رابعاً : تسلل الناس إلى مصلاه صلى الله عليه وسلم فأتموا به صلى الله عليه وسلم وهو لا يشعر بهم وهو لا يقر على باطل .

٥ ــ خامساً : تقريره صلوات الله وسلامه عليه لمن يصلي بالناس سواء في المسجد أو في البيت .

٦ ــ سادساً : صلاته هو صلى الله عليه وسلم بالفعل بأهل بيته .

٧ ــ سابعاً : صلاته هو صلى الله عليه وسلم بالفعل بأهل بيته وبالناس عدة ليال متفرقة .

أما العدد أي عدد الركعات :

أ ــ فقد صلى أربع ركعات استغرقت الليل كله .

ب ــ وصلى ثمان ركعات .

ج ــ وصلى إحدى عشر ركعة لا تسل عن حسنهن وطولهن .

د ــ وصلى ثلاث عشرة ركعة .

وهذا ما يقتصر عليه بعض المتأخرين ولكن :

١ ــ جاء الإطلاق بدون حد من قام رمضان إيماناً واحتساباً .

٢ ــ جاء تقريره على طلب الزيادة لو نفلتنا بقية ليلتنا ؟

٣ ــ وهناك مبحث لم يتطرق إليه أحد فيما أعلم وهو :

أن عائشة رضي الله عنها قالت : ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط ودخل بيتي إلاّ وصلى أربعاً أو ستاً وجاء عنها أنه كان يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين .

فلو جمعنا حديث ابن عباس ١٣ ركعة مع حديث عائشة ٦ بعد العشاء مع ٢ ركعتين يفتتح بهما صلاة الليل لكان مجموع ذلك كله ١٣ * ٦ = ١٩ * ٢ = ٢١ إحدى وعشرون ركعة .

وهو العدد الذي جمع عمر رضي الله عنه الناس عليه مع أبي بن كعب ويكون هذا العدد مستنداً إلى سنة لا مجرد اختيار عمر رضي الله عنه والله أعلم .

وبعد هذا فلا يحق لأحد أن يمنع الزيادة على ثمان ركعات وقوفاً عند حديث مسروق عن عائشة رضي الله عنها أو يعيب فعل عمر متهماً إياه بمخالفة السنة حاشاه رضي الله عنه .

عهد الصديق رضي الله عنه :

كان عهد الصديق رضي الله عنه غير طويل ، وكان الناس حدثاء عهد بعهد النبوة فلم تتكون عوامل تغير تذكر بالنسبة للتراويح . ولهذا لم يذكر أحد أن التراويح في عهد الصديق رضي الله عنه طرأ عليها جديد . مستدلين بحديث أبي هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغّب في قيام

Made With Pdf Office

رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك . قال البيهقي : زاد أحمد ابن منصور الرمادي في رواتبه في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رواه مسلم في الصحيح . ورواه مالك بسنده إلى ابن شهاب . وتوفي رسول الله صلى الله علية وسلم والأمر على ذلك . وكان الأمر على ذلك في صدر خلافة أبي بكر ، وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه .

ولكن حديث عائشة عند البيهقي قالت : كنا نأخذ الصبيان من الكتاب ليقوموا بنا في شهر رمضان فنعمل لهم (القلية) و (الخشكنانج) وعند المروزي : فنعمل لهم القلية والخشكار وهو خبز السمراء .

فهو نص على إقامة التراويح بإمامة الصبيان . وقطعاً لم يكن ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان في عهد الصديق فيكون تطوراً جديداً أم في عهد عمر ؟ والذي يظهر أنّه كان في عهد الصديق رضي الله عنه لأنه كان في عهد عمر كما سيأتي ترتيب أئمة للرجال وإمام للنساء وعلى كل ففيه تطور جديد ، فإن كان في عهد الصديق فهو جديد عمّا كان من قبل وهو الراجح وإن كان في عهد عمر فيغلب على الظن أن ذلك كان في البيوت لأنهن لن يأخذن الصبيان من الكتاب وعمر جاعل إماماً لهن . ولا سيما عائشة رضي الله عنها . فأحرى بها رضي الله عنها أن تصلي في بيتها ، وقد يجتمع لها من النساء .

القراءة زمن الصديق :

وقد ظلت القراءة طويلة في زمن الصديق رضي الله عنه لما في حديث عبد الله ولد الصديق ، فعن مالك عن عبد الله بن أبي بكر سمعت أبي يقول : كنا ننصرف في رمضان من القيام فنستعجل الخدم بالطعام مخافة الفجر .

وقد طرأ في هذا العصر أيضاً نوع مقارنة بين القراء . فكان الناس يميلون إلى من كان حسن الصوت بالقراءة كما سيأتي إيضاحه إن شاء الله في عهد عمر رضي الله عنه.

في عهد عمر رضي الله عنه :

جاء عهد عمر رضي الله عنه والحال كما كان عليه من قبل يصلون أوزاعاً فرادى وجماعات في البيوت وفي المسجد يصور ذلك أكمل تصوير أثران ، هما : أثر إياس الهذلي ، وأثر عبد الرحمن ابن عبد .

أ ــ الأثر الأول : عن نوفل قال

Made With Pdf Office

إياس الهذلي : كان الناس يقومون في رمضان في المسجد وكانوا إذا سمعوا قارئاً حسن القراءة مالوا إليه . فقال عمر رضي الله عنه : قد اتخذوا القرآن أغاني والله لئن استطعت لأغيرن هذا ، فلم تمر ثلاث حتى جمع الناس على أبي بن كعب . وقال عمر : إن كانت هذه بدعة لنعمة البدعة . رواه المروزي .

ب ــ الأثر الثاني : وهو أثــر عبد الرحمن بن عبيد بالتنوين (القارّى) خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه . ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي ابن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم : نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون . يعني آخر الليل وكان الناس يقومون أوله . رواه البخاري.

التطــور الجديــد :

نجد في الأثريــن السابقين تطوراً جديداً على يد عمر رضي الله عنه وهو جمع الأوزاع والأشتات على قارىء واحد . وهذا التطور وإن تعددت أسبابه فقد جمع عدة مصالح .

فالأثر الأول يشير إلى أن السبب له صلة بحسن القراءة ، وفي هذا مجال فسيح لمنافسة القراء وتسابق المصلين ، وهو أمر لو طال به المدى لابتعدت الشقة بسببه بين المصلين ، فوحــد القارىء لتتوحد القراءة . وقد يؤخذ منها تقديم درىء المفسدة على جلب المصلحة لأن تتبع المصلين لمن هو أحسن صوتاً مجال لتحسين الصوت بالقراءة وهو أمر مرغوب فيه . غير أنه قد يكون مدعاة إلى التغالي حتى يصل إلى التغني كما أشار عمر رضي الله عنه من قبل فجمعهم على قارىء واحد سداً للذريعة ودرءاً للمفسدة .

والأثر الثاني يشير إلى وجود جماعات وأفراد لا تربطهم عوامل موحدة ، ولو طال بهم المدى أيضاً لافتقدوا عامل الإئتلاف والإتحاد وضاعت ثمــرة الجماعة . فوحد الإمام ليتجمع المأموم ، وكانت نعمة البدعة في كلا الأمرين . وإلى هنا تم توحيد المصلين للتراويح على إمام واحد وهو أبي بن كعب .

تعــدد الأئمــة :

وقد جاء رضي الله عنه أنه جعل إمامين للرجال وهما : أبي بن كعب وتميم الداري ، وكانا يقومان في الليلة الواحدة يتناوبان . يبتدىء الثاني حيث ينتهي الأول . كما جاء في رواية السائب

Made With Pdf Office

ابن يزيد قال : أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميم الداري رضي الله عنهما أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة ، وذلك مع المحافظة على طول القراءة كما في الرواية الأخرى له : كنا نصلي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان ثلاث عشرة ركعة ، ولكن والله ما كنا نخرج إلاّ وجاه الصبح كان القارىء يقرأ في كل ركعة بخمسين آية ، ستين آية . وكما في رواية السائب أيضاً : أنهم كانوا يقرؤون بالمئين من القرآن ، وأنهم كانوا يعتمدون على العصى في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فالذي تجدد في هذين الأثرين هو :

أ ــ تعدد الأئمة بعد إمام واحد . وهو أبي ، وسواء كان ذلك رفقاً بالإمام الأول فجعل معه آخر يساعده ، أو كان ترويحاً للمأمومين ، وتنشيطاً للمصلين ، ولا سيما وقد كانوا حدثاء عهد بتعدد من الأئمة حينما كانوا يصلون أوزاعاً .

وقد مضى عمر رضي الله عنه إلى أبعد من هذا ، فجعل إماماً للنساء ، وانتخب أكثر من إمام للتراويح ، أما إمام النساء فهو سليمان بن أبي حتمة . فكما جاء عند المروزي قال : وعن هشام بن عروة عن أبيه : جعل عمر ابن الخطاب للناس قارئين ، فكان أبي بن كعب يصلي بالرجال ، وكان ابن أبي حتمة يصلي بالنساء . فهذا الأثر يفيد أن إمامة سليمان ابن أبي حتمة بالنساء كانت أثناء إمامة أبي للرجال ، أي أنهما كانا يصليان في وقت . هذا لهؤلاء وهذا لؤلائي .

وقد كان ذلك أقصى ما وصلت إليه التراويح من حيث النشاط والصبر وطول القيام ، وكثرة القراءة .

ثم أخذت في التدرج إلى الأسهل فتعددت الأئمة وخُففت القراءة وكثرت الركعات .

أما تعدد الأئمة أكثر من ذلك فهو كما في رواية عاصم عن أبي عثمان رحمه الله أن عمر رضي الله عنه ، جمع القرآن في رمضان فأمر أخفهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية وأوسطهم خمساً وعشرين ، وأثقلهم قراءة عشرين .

فنرى هنا تعدد الأئمة وهو أكثر ترويحاً وتخفيفاً على نفس الإمام وعلى المأمومين ، ثم نرى أيضاً تخفيف القراءة فأقصاها ثلاثون بعد أن كانت تصل إلى الستين والمئين . بل نجد أثراً آخر وهو أن عمر رضي الله عنه أمر أبياً فأمهم في رمضان فكانوا ينامون ربع الليل ، ويقومون ربعه ، وينصرفون بربع لسحورهم وحوائجهم . وكان يقرأ بهم خمس آيات وست آيات في كل ركعة ويصلي بهم ثمان عشر ركعة شفعاً

Made With Pdf Office

يسلم في كل ركعتين ، ويروحهم قدر ما يتوضأ المتوضىء ، ويقضي حاجته ، بهذا يتضح إلى أي مدى حدث تغيير وتخفيف في الكيفية والقراءة .

أما عدد الركعات فكالآتي :

١ — فتقدم أن أول ما أمر عمر أبياً أن يقوم بالناس أنه أمره بثمان ركعات . وكان يقرأ فيها بالمئين ، وكانوا لا ينصرفون إلاّ في وجه الفجر .

٢ — وتقدّم أن عمر أمر أبياً وتميماً أن يقوما للناس ثلاث عشرة ركعة . وهذا بالنسبة إلى ما جاء من ثمان ركعات ، يكون معها ثلاث وتراً .

وقد جاءت رواية محمد بن سيرين أن معاذاً أبا حليمة القارّى كان يصلي بالناس إحدى وأربعين ركعة . ومعاذ أبو حليمة هذا ، قال في التقريب : هو معاذ بن الحارث الأنصاري البخاري القارّي أحد من أقامه عمر بمصلى التراويح . وقيل هو آخر يكنى أبا الحارث صحابي صغير . استشهد بالحرة . . . هـ .

والحرة كانت سنة ٦٣ يؤيد هذا العدد ويفصله رواية أبي زيد عن صالح مولى التوأمة قال : أدركت الناس قبل الحرة يقومون بإحدى وأربعين ركعة يوترون فيها بخمسة ، فكانت التراويح إحدى وأربعين ينقصها أي ستة وثلاثون ركعة .

وصالح هذا قال عنه في التقريب : هو صالح بن نبهان المدني مولى التوأمة بفتح المثناة وسكون الواو وبعدها همزة ، مفتوحة . صدوق اختلط في آخر أمره .

قال ابن عدي : لا بأس برواية القدماء عنه كابن أبي زيد وابن جرير من الرابعة مات سنة ١٢٥ . والرواية هنا عنه من رواية الأقدمين . وهو ابن أبي ذئب ، كما مثل ابن عدي لما لا بأس به عنه . فهو هنا يقول : أدركت الناس قبل الحرة يقومون بإحدى وأربعين يوترون منها بخمسة . وهذا موافق لما قاله محمد بن سيرين أن معاذ بن حليمة القارّي كان يصلي بالناس إحدى وأربعين ركعة أي ستاً وثلاثين قياماً وخمسة وتراً .

أ — فتكون التراويح زمن عمر رضي الله عنه بدأت بثلاث عشرة ركعة أي بما فيها الوتر .

ب — ثم إلى ثلاث وعشرين بما فيها الوتر ثلاث .

ج — ثم بست وثلاثين ومعها خمس ركعات وتراً . والمجموع إحدى وأربعون ركعة إلاّ أننا نلاحظ أن كثرة الركعات معها تخفيف القراءة لأنه :

أولاً : ثمان ركعات ، أو ثمان عشرة ركعة ، يقرؤون بالمئين . وكانوا

Made With Pdf Office

لا ينصرفون إلاّ على وجه الفجر . وعليه قلنا تكون القراءة لست وثلاثين ركعة ، كالقراءة لثمان أو لست عشرة ركعة .

بل وجدنا عملياً أن عمر رضي الله عنه جمع القراء فأمر من كان أخف قراءة أن يقرأ بثلاثين بينما كانت القراءة بخمسين ، بستين كما تقدم .

وعليه لا يكون تعارض بين الروايات الواردة وعدد الركعات للتراويح زمن عمر رضي الله عنه . كما قال الباجي رحمه الله في شرحه للموطأ جـ ١ ص٢٠٨ ما ملخصه : قد اختلفت الروايات فيما كان يصلى به في رمضان في زمان عمر رضي الله عنه . فروى السائب ابن يزيد : إحدى عشرة ركعة ، وروى يزيد بن رومان ثلاثاً وعشرين ركعة ، وروى نافع مولى ابن عمر أنه أدرك الناس يصلون بتسع وثلاثين ركعة يوترون فيها بثلاث .

فيحتمل أن يكون عمر رضي الله عنه بدأ بثمان على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أفاده حديث عائشة المتقدم : ما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ولا في غيره على ثمان ركعات . وأمرهم مع ذلك بطول القراءة يقرأ القارىء بالمئين في الركعة فلما ضعف الناس عن ذلك أمرهم بثلاث وعشرين ركعة على وجه التخفيف عنهم من طول القيام ، واستدرك بعض الفضيلة بزيادة الركعات وكان يقرأ البقرة في ثمان ركعات أو اثني عشر ، وقد قيل : أنه كان يقرأ من ثلاثين آية إلى عشرين آية . وكان الأمر على ذلك إلى يوم الحرة ، فثقل عليهم القيام فنقصوا من القراءة وزادوا في عدد الركعات فجاءت ستاً وثلاثين ركعة والوتر بثلاث فمضى الأمر على ذلك ولعل التخفيف إلى ست وثلاثين وقع قبل الحرة كما جاء في رواية محمد ابن سيرين أن معاذ أبا حليمة كان يقوم بهم إحدى وأربعين ركعة . وهو ما مات إلاّ في وقعة الحرة .

والذي يهمنا ما ظهر من التدرج في التراويح زمن عمر رضي الله عنه بالتخفيف من القراءة وزيادة عدد الركعات . فكانت قلة الركعات معها كثرة قراءة . وكثرة القراءة معها قلة الركعات .

مناقشة « نعمة البدعة » :

وقبل أن ننتقل من عهد عمر إلى عهد عثمان رضي الله عنهما يحسن إيراد الجواب على قول عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة لجمعه الناس على قارىء واحد وصلاتهم إياها في جماعة فما مراده بقوله هذا وما الجمع بين قوله : نعمت وبين كونها بدعة ؟

وخير ما نسوق في ذلك هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في

Made With Pdf Office

كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٢٧٥ ما نصه قال : فأما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة ، بل هي سنة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله ، فإنه قال : إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه . ولا صلاتها جماعة بدعة بل هي سنة في الشريعة بل قد صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين ، بل ثلاثاً . وصلاها أيضاً في العشر الأواخر في جماعة مرات . وقال : إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة . لما قام بهم حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح ، رواه أهل السنن .

وبهذا الحديث احتج أحمد وغيره على أن فعلها في الجماعة أفضل من فعلها في حال الإنفراد . وفي قوله هذا ترغيب في قيام شهر رمضان خلف الإمام. وذلك أو كدمن أن يكون سنة مطلقة.

وكان الناس يصلون جماعة في المسجد على عهده صلى الله عليه وسلم ويقرهم وإقراره سنة منه صلى الله عليه وسلم وأما قول عمر : « نعمت البدعة هذه » فأكثر المحتجين بهذا لو أردنا أن نثبت حكماً بقول عمر الذي لم يخالف فيه — لقالوا : « قول الصاحب ليس بحجة » .

فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن اعتقد أن قول الصاحب حجة فلا يعتقده إذا خالف الحديث .

فعلى التقديرين : لا تصلح معارضة الحديث بقول الصاحب . نعم يجوز تخصيص عموم الحديث بقول الصاحب الذي لم يخالف على إحدى الروايتين . فيفيدهم هذا (حسن تلك البدعة) أما غيرها فلا .

ثم نقول أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة ، مع حسنها ، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية ، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق ، وأما البدعة الشرعية . فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي.

فإذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دلّ على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته ، أو دلّ عليه مطلقاً ولم يعمل به إلا بعد موته ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه . فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى « بدعة » في اللغة ، لأنه عمل مبتدأ ، كما أن نفس

---

(١) والظاهر أن مراد شيخ الاسلام بقوله : وفي قوله هذا ترغيب ... الخ أنه اراد الحديث الذي احتج به أحمد لا أنه أراد قول أحمد نفسه.

Made With Pdf Office

الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة ويسمى محدثاً في اللغة . كما قالت رسل قريش للنجاشي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين إلى الحبشة « وإن هؤلاء خرجوامن دين آبائهم ،ولم يدخلوا في دين الملك، وجاؤوا بدين محدث لا يعرف ».

ثم ذلك العمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة ، وإن سمي بدعة في اللغة . فلفظ « البدعة » في اللغة أعم من لفظ « البدعة » في الشريعة .

وقد علم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم « كل بدعة ضلالة » لم يرد به كل عمل مبتدأ ، فإن دين الإسلام بل كل دين جاءت به الرسل فهو عمل مبتدأ . وإنما أراد : ما ابتدىء من الأعمال التي لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم . وإذا كان كذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى . وقد قال لهم في الليلة الثالثة ، أو الرابعة لما اجتمعوا : « إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلاّ كراهة أن يُفرض عليكم فصلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلاّ المكتوبة » . فعلل صلى الله عليه وسلم عدم الخروج بخشية الإفتراض ، وخوف الإفتراض قد زال بموته صلى الله عليه وسلم فانتفى المعارض .

وساق بعد ذلك أدلة أخرى كجمع القرآن ونفي عمر ليهود خيبر ، وقتال أبي بكر لمانعي الزكاة . ثم قال مبيناً ضابط البدعة الحسنة من السيئة بما نصه : (والضابط في هذا والله أعلم أن يقال : إن الناس لا يُحدثون شيئاً إلاّ لأنهم يرونه مصلحة ، إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه . فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين فما رآه المسلمون مصلحة نظر في السبب المحوج إليه ، فإن كان السبب المحوج إليه أمراً حدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه (وقال رحمه الله عبارة مفادها أن ترك النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر من غير تفريط) .

وكذلك إن كان المقتضى لفعله قائماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن تركه النبي صلى الله عليه وسلم لمعارض قد زال بموته . هـ .

هذا هو كلام شيخ الإسلام بنصه في بيان كلمة عمر رضي الله عنه « نعمت البدعة » .وأعتقد أنه واضح في الرد على من يحتج بها على أن صلاة التراويح جماعة بدعة أو أن العدد الذي ورد عن عمر رضي الله عنه فيها ٢١ ركعة بدعة .

غير أن البحث في إثبات ذلك العدد عنه أو عدم إثباته . ويكفي في ذلك روايات مالك في الموطأ . والله تعالى أعلم

Made With Pdf Office